(٢٦)

طلع البدر علينا

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ [سورة البقرة الآية ٢٠٧].

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة الأحقاف الآيتان ١٥، ١٦].

لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة

* * *

obeikandl.com

«مشارف المدينة المنورة.. يوم الاثنين، لاثنتى عشـرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول.. كدأبهم كل يوم منـذ هلت أنباء الهجـرة المحمدية من مكـة – يتزاحم على المداخـل الجنوبية للمدينة الأنصـار والمهاجـرون يترقبون وصـول النبى – ﷺ – بأفئـدة ملأتهـا الأشـواق إلى الاكتحـال بطلعته.. يشاركهم فى الخروج للاستطلاع بعض يهود يخفـون ما بهـم من قلق، وما فى قلوبهم من توجس..».

«بظاهرالحَرّة وقد علت الشمس حتى اشتد لفحها وطال انتظار المسلمين حتى غلبتهم الشمس على الظلال وظنوا أن النبى – ﷺ – لن يصل فى هـذا اليـوم.. يطلب البعض ظلاً فى بيوتهم من وهج الشمس..».

«أحد اليهود وقد غلبه فضوله فصعد وأخذ ينظر مـن على أَطُم (حصن) من آطامهم (حصونهم) – فلمح موكب الرسول المصطفى قادمًا على البعد..».

اليهودى : (مناديًا بصوت عال) يـا بنى قَيْلة.. يـا معشـر العرب.. يـا بنى قَيْلة، يا معشـر العـرب.. هـذا جَـدّكم (حظكم) قد جاء..

«يتنـادى المهاجـرون والأنصار.. يسـارعون بالخروج من الدور.. ينطلقون إلـى حيث لمحت عيونهم على البعد شخصين يستظلان – وقد أناخا راحلتـين – بظل نخلة فى موضع «قباء».. على

نحـــو ميلين للجنوب من المدينة.. يتزاحم إليهما النـــاس.. بعضهم لا يعرف النبى – عليه السلام – من أبى بكر.. فلم تكن أعين البعض قد اكتحلت به بعد..».

«يترقـــب من ســـبقوا حتـــى يصـــل الأنصار والمهاجرة.. ينظـــرون إلى الصاحبين فى إجلال وقد عقد جلال المشهد ألسنتهم.. ترى من منهما الرسول.. بيد أنهم يلحظون أن أحدهما قد سارع لدى زوال الظل ببســـط ردائه ليظل به صاحبه.. فعرفوا أنه النبى – ﷺ».

المسلمون : (يتزاحمـــون فى اتجاه النبى وقد عرفوه – يكبرون).. الله أكبر.. الله أكبر، الله أكبر جاء رسول الله..

«يصـــل الأنصـــار والمهاجـــرة، فيحيطـــون بالنبـــى – ﷺ – وأبـــى بكـــر.. يفســـحون لهما فيتقدمهـــم عليه السلام وقلـــوب النـــاس مشـــدودة إليـــه، وأجســـادهم تحيـــط بموكبـــه، وأنظارهم معلقة به.. يتزاحم فيمن يتزاحمون بعض يهود، غلب البعض حب اســـتطلاعهم، وحرك البعض وجوف قلوبهم.. فيهم عبد الله بن ســـلام.. ينظر إلى النبى – عليه السلام – مليًّا، كأنه يريد أن يخترق الحجب ليرى ما وراءه..».

النبى : (فى مسيرته والناس حوله).. أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام.. تدخلوا الجنة بسلام..

عبد الله بن سلام : (يهمس ليهودى برفقته) ما يقول هذا كاذب، وليس هذا بمحيّا كاذب!

سعد بن خيثمة : (لأنصارى بجواره) لم أر يومًا أحسن من هذا اليوم ولا أوضأ..

«بعض المدنيين والحبش يلعبون بالحراب فرحًا بمقدم النبى عليه السلام..».

البراء بن عازب : (لمهاجر بجواره) ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشىء فرحهم برسول الله - ﷺ..

الناس : (تنشد)

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

النبى : (مناديًا فى الناس) أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلّوا بالليل والناس نيام.. تدخلوا الجنة بسلام.

«تتعالى تكبيرات المسلمين والأنصار والمهاجرة..».

* * *

«ركب النبى - ﷺ - وقد ألقى مراسيه بقباء.. فى بنى عمرو بن عوف.. يلحف «كلثوم بن الهِدْم»، ويشدد فى الإلحاف أن ينزل النبى - عليه السلام - بداره، وهى مجاورة لدار «سعد ابن خيثمة» - أو بيت العزاب فيما يقولون، لأنه

كان عزبـا لا زوج لـه يقيم بضيافتـه كل عزاب المهاجرين..».

«النبـى - عليه السلام - ينـزل بـدار «كلثوم»، ويتخـذ مـن دار «ابن خيثمـة» ملتقى لأصحابه من الأنصار والمهاجـرة.. بينما نزل أبو بكر بدار خبيب بن إساف..».

* * *

«مكة، ثلاثة أيـام من خروج النبى - ﷺ - وصاحبـه.. علىّ بن أبـى طالب وقد فرغ من رد جميع الودائع التى كانت لدى الرسول عليه السلام إلى أصحابها.. يزمع أمره ويخرج ليلاً شادًا الرحال ليلحق بالنبى - ﷺ - وأصحابه بالمدينة.. تصحو قريـش، فلا تجد لعلى أثـرًا، تدرك أنه يمم إلى المدينة شطر النبى - ﷺ - والمهاجرين والأنصار.. لا تدرى قريش ماذا يخبئه لها الغد!!!».

* * *

«قبـاء بالمدينـة.. وقـد مضت أيـام الاثنين والثلاثـاء والأربعـاء.. النبـى - ﷺ - فى دار «كلثـوم بن الهـدْم» تأتيـه الأخبار بـأن علىّ ابن أبى طالـب قد بلغ المدينة ونزل بدار قريبة من دار كلثوم..».

النبى : (بشوق وقد بلغه الخبر) ادعوا لى عليًّا!

مهاجر : لا يقدر أن يمشى يا رسول الله..

النبى : (مرددًا) لا يقدر أن يمشى؟!!

المهاجر : لقد تورمت قدماه وتشققت وتصدعت وتقيحت من طول المسير! كان يكمن نهارًا ويسير ليلاً حتى قدم المدينة وقد تفطرت (تصدعت وتشققت وتفتحت) قدماه!!

«النبى ﷺ ينهض يطلب عليًّا حتى يلقاه.. النبى ﷺ يعانقه ويبكى رحمة بما ألم بقدميه من ورم فى سبيل الله.. النبى ﷺ يتفل فى يديه ويمررها على قدمىّ علىّ.. يغادر ﷺ على أن يلحق به علىّ بدار كلثوم عندما يستطيع..».

* * *

«وقد أرخى الليل سدوله، علىّ بدار ضيافته.. ينظر فيلحظ رجلاً قد أتى فى جوف الليل، كما فعل بأمس، فطرق باب امرأة مسلمة جارة تعيش بمفردها فلا زوج لها.. يحادثها ويناولها شيئًا ثم يمضى لحال سبيله.. يتعجب علىّ ولا يروق له ما يراه!!».

علىّ : (يخرج فيناديها) يا أمة الله! من هذا الرجل الذى يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه فيعطيك شيئًا لا أدرى ما هو، وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك؟!

المرأة : هذا سَهْل بن حُنيف بن واهب.

علىّ : ما شأنه؟

المرأة : قد عرف أنى امرأة لا أحد لى، فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها ثم جاءنى بها يقول لى: خذى هذا فاحتطبى به..

* * *

«المدينة.. بيت سعد بن خيثمة – أو بيت العزاب فيما يقولون، وقد وصله صهيب بن سنان، يتحدث المهاجرون والأنصار بإعجاب بما كان من أمره مع قريش حين اعترضت هجرته.. يروى الرواة كيف هدد قريشًا وأخافها حين أخرج جعبته وأمسك سهامه وقال لهم تعلمون أنى من أرماكم رجلاً، ولن تصلوا إلىّ حتى أرمى بكل سهم فى كنانتى، ثم أضربكم بسيفى.. حتى إذا ما أخذ منهم الخوف والتوجس، اشترى نفسه بماله.. دلّ قريشًا على مكان ماله وأعطاهم أمارة، فتركوه وكروا عائدين إلى حيث أخذوا المال..».

«النبى – ﷺ – فى صحابته.. يتنادى المسلمون فرحين بما صنعه صهيب..».

النبى : (لصحابته) قد قلت لكم.. ربح والله صهيب.. ربح صهيب.

«النبى – ﷺ – يوافيه جبريل عليه السلام، فيلقنه من آيات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ [سورة البقرة الآية ٢٠٧].

(يرتفع الوحى)

* * *

«قباء بالمدينة، وقد مضت أيام الأربعاء والخميس – وأهلّ يوم الجمعة، بينما كان المسلمون

قد فرغوا من بناء أول مسجد لهم «بقباء» – أول مسجد بنى وأسس على التقوى.. وضع النبى عليه السلام أول حجر فى قبلته، ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه، ثم جاء عمر بحجر فوضعه بجانب حجره، ثم أخذ الناس فى البناء..».

«دار كلثوم بن الهِدْم». صباح الجمعة السادس عشر من ربيع الأول.. النبى عليه السلام بصحبته أبو بكر وعلىّ وباقى الصحابة من المهاجرين والأنصار.. يدعو عليه السلام براحلته فيأتون بها وقد احتشد المسلمون.. النبى – ﷺ – يركب ناقته يزمع التوجه إلى حيث يشاء الله..».

بنو عمرو بن عوف : (معترضين وقد أخذوا بخطام الناقة) يا رسول الله، أَخَرجْت ملالاً لنا أم تريد دارًا خيرًا من دارنا؟!

النبى : (فى رفق وحنو) لا هذه، ولا تلك.. إنى أمرت بقريةٍ تأكل القرى فخلّوها (أى الناقة) فإنها مأمورة.

«لا يملك بنو عمرو بن عوف إلا أن يخلوا الناقة، ينطلق الركب فى سبيله والمسلمون يكبرون وينشدون من حوله».

الناس : (تنشد)

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

«حى بنى سالم بن عوف.. رَكْبُ النبى عليه السلام وقد أدركتهم صلاة الجمعة فى بطن وادٍ يقال له وادى «رانونا».. النبى – ﷺ – يؤم الناس

فى أول صلاة جمعة تقام بعد وصوله للمدينة..
يخطب عليه السلام فيهم..».

النبى : (خطيبًا فى صلاة الجمعة) الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأستغفره وأستهديه، وأومن به ولا أكفره - وأعادى من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، بالهدى والنور والموعظة، على فترة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنو من الساعة، وقرب من الأجل، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى وفرّط، وضل ضلالاً بعيدًا. وأوصيكم بتقوى الله، فإنه خير ما أوصى به المسلمُ المسلمَ، أن يحضه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكرًا، وإن تقوى الله لمن عمل به على وجل (رجاء) ومخافة من ربه، عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة. ومن يصلح الذى بينه وبين الله من أمره فى السر والعلانية، لا ينوى بذلك إلا وجه الله يكن له ذكرًا فى عاجل أمره، وذخرًا فيما بعد الموت، حين يفتقر المرء إلى ما قدم، وما كان من سوى ذلك يَوَدّ لَوْ أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا، ويحذركم الله نفسه، والله رءوف بالعباد. والذى صدق قوله، وأنجز وعده، لا خلف لذلك، فإنه يقول عز وجل: - ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة ق الآية ٢٩] فاتقوا الله فى عاجل أمركم وآجله فى السر والعلانية، فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته، ويعظم له أجرًا، ومن يتق الله فقد فاز فوزًا عظيمًا. وإن تقوى

الله يوقّى مقته، ويوقّى عقوبته، ويوقّى سخطه، وإن تقوى الله يبيض الوجوه ويرضى الرب، ويرفع الدرجة.

خذوا بحظكم، ولا تفرطوا فى جنب الله، قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله، ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين. فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين، ليهلك من هلك عن بيّنة، ويحيا من حىّ عن بيّنة، ولا قوة إلا بالله. فأكثروا ذكر الله، واعملوا لما بعد اليوم، فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ما لا يملكون، والله أكبر ولا قوة إلا بالله العظيم.

* * *

«بعد مناسك صلاة الجمعة.. المسلمون ملتفون حول النبى - ﷺ.. يخترق إليه عِتْبان بن مالك ونوفل بن عبد الله بن مالك فى رجال من بنى سالم بن عوف..».

بنو سالم : (ملحفين وهم يأخذون بخطام ناقة النبى) يا رسول الله، أقم عندنا، فإن فينا العدد والعشيرة والعدة والمنعة! نحن أصحاب الدرك والحدائق، يا رسول الله قد كان الرجل الخائف من العرب يلجأ إلينا فنقول له قوقل (ادخل) حيث شئت!

النبى : (فى رفق وهو يتبسم فى حنو مشيرًا إلى الناقة) خلّوا سبيلها فإنها مأمورة!

«يقـوم إليـه عبادة بـن الصامـت، وعباس ابن عبادة بن نضلة.. يلحفان ويلحان..».

عبادة وعباس : (ملحين) يا رسول الله، انزل فينا..

النبى : (مبتسمًا فى رفق وحنو) بارك الله عليكم، إنها مأمورة!!

* * *

«حـى بنى سـاعدة.. موكـب النبى ﷺ فى طريقـه.. يعترضه سـعد بن عبـادة، والمنذر بن عمـرو، وأبـو دجانـة.. وقد أخذوا بخطام الناقة..».

سعد والمنذر وأبو دجانة : (راجين ملحفين) هلم يا رسول الله إلى العز والثروة، والقوة والجلد!

سعد بن عبادة: (مضيفًـا) يا رسـول الله ليس مـن قومى رجـل أكثر عَزْقًا (نخيلاً وعرجونًا) ولا فم بئرٍ منى مع الثروة والجلد والعدد..

النبى : (مبتسـمًا فى رفق وسماحة) يا أبا ثابت خلّ سبيلها فإنها مأمورة..

* * *

«الركب النبوى، وقد وازى ديار بنى الحارث ابـن الخزرج.. يعترض الركب سـعد بن الربيع وعبـد الله بن رواحة وبشـير بن سـعد وخارجة ابن زيد فى رجـال من بنى الحارث، فيأخذون بخطام الناقة..».

سعد بن الربيع وأصحابه : (راجين ملحفين) يا رسـول الله، هلم إلينا، لا تجاوزنا.. هلم إلى العدد والعدة والمنعة.. إلى الثروة والحلقة!

النبى : (مبتسـمًا فـى حنو ورفق) بارك الله فيكم، خلّوا سـبيلها فإنها مأمورة!

«الركب النبـوى، وقد مر بمحاذاة ديـار بنى عدى بـن النجار، وهـم أخوال عبـد المطلب، يتلقاهم سليط بن قيس وأبو سليط يسيـرة بن أبى خارجـة ورجـال من بنى عـدى بـن النجـار – يأخذون بخطام الناقة..».

سليط وصحبه : (راجـين ملحفين) يا رسـول الله، هلـم إلى أخوالك.. إلى العدد والعدة والمنعة والقرابـة!.. نحن أخوالك فلا تجاوزنا إلى غيرنـا يا رسـول الله، ليس أحد من قومنـا أولى بك منا لقرابتنا!

النبى : (مبتسمًا فى رفق ومودة) بارك الله فيكم ولكم. خلّوا سبيلها فإنها مأمورة!

* * *

«الركـب النبـوى وقـد بلغ ديـار بنى مالك ابن النجـار.. فـإذْ بناقة المصطفـى عليه السلام تنيخ وتبرك.. عند «مربد» تَمْر لغلامين يتيمين من بنى مالك بن النجار: سـهل وسـهيل ابنى عمرو.. وكانا فى حجر معاذ بن عفراء..».

«ينظـر الناس فـإذا برسـول الله عليه الصلاة والسـلام راكبًا ثابتًا فى موضعه لا ينزل وقد أخذه مـا يأخذه عند الوحى.. ولكنه عليه السلام تارك للناقة زمامهـا لا يثنيها به.. الناقة تنهض بين دهشـة النـاس وتسـير والرسـول – عليه السلام – فوقهـا لا يوجهها ولا يثنيها.. تمضى الناقة إلى غير بعيد، ثـم تلتفت خلفها فترجع إلى مبركها الأول الذى فيه بركت.. وإذ بالناقة وقد بركت بذات الموضع

ثانيــة.. ثم تحلحلت (تحركــت) ورزمت (رغت ورجعت فــى رغائها) ووضعت جرانها (عنقها – ما يصيــب الأرض من صدرها وباطــن حلقها).. النبــى – ﷺ – ينــزل من على الناقة.. يســارع أبو أيــوب خالد بن زيد الأنصــارى فيأخذ رحل الرسول ويطير به إلى داره ويعود فى لمح البصر..».

النبى : (سائلاً – والجميع يتمنون عليه أن ينزل بدارهم) أى بيوت أهلنا أقرب؟

أبو أيوب : (منبريًــا) أنا يا نبى الله، هــذه دارى، وهذا بابى – وقد حططنا رحلك فيها.

النبى : (مبتسمًا) فانطلق فهيئ لنا مقيلا.

أبو أيوب : (وقد بلغ منه الفرح) بأبى أنت وأمى يا رسول الله..

«ينطلــق أبو أيوب، فيهيــئ للنبى – عليه السلام – وصحبه مقيلاً.. ويدعــو كل أهل داره ليتســارعــوا فــى إكرام وفادة النبى – ﷺ – ومــن فى صحبته..».

* * *

«دار أبى أيوب الأنصارى، والأنصار والمهاجرة ملتفون حول النبى – ﷺ.. أبو أيوب الأنصارى لا يكاد يملك نفســه من فرحــه أن النبى عليه السلام يقيم بداره ..».

النبى : (ناظرًا للأنصار) لمــن «المربد» الذى بركت الناقة فيه؟

معاذ بن عفراء : هو يــا رسول الله لسهل وسهيل ابنى عمرو – وهما يتيمان فــى كفالتى.. (مســتأنفًا) وســأرضيهمــا – فاتخــذه مسجدًا يا رسول الله.

النبى : (مشترطًا) بالثمن!

بنو النجار : لا نبيعه ولا نبتغى به ثمنًا إلا ما عند الله!

النبى : (فى تصميم) بل بالثمن!.. ثامنونى به!

بنو النجار : نحن نبذله لله يا نبى الله، ونؤدى لليتيمين ثمنه!

أبو بكر الصديق : (ملحًا) عزمت عليكم أن تدعونى أدفع ثمنه حبًّا لله ورسوله..

«ينزل الحاضرون على رغبة أبى بكر الصديق.. يدفع ثمن المربد عشرة دنانير.. النبى عليه السلام ينظر راضيًا قرير العين إلى أصحابه، يسألهم أن يبدأوا فى إقامة المسجد..».

* * *

«النبى - ﷺ - خال إلى نفسه يتعبد ويتحنث.. يذكر بالرضا ما كان من أمر أبى بكر الصديق معه.. آمن وناصر وصدق يوم شك الناس.. لم يفارقه فى حل ولا فى ترحال.. كم افتداه وافتدى المسلمين بنفسه.. وافتدى المعذبين والمستضعفين من العبيد بماله.. كيف كان رفيقه وصاحبه فى الهجرة، تأنس إليه روحه، ويجده إلى جواره حين يلتمسه..».

«النبى - ﷺ - قرير العين بأبى بكر وبصحابته الأبرار.. يناجى ربه ويشكره ويحمده.. وإذ هو فى ابتهاله وتحنثه يوافيه جبريل عليه السلام فيلقنه من كلمات ربه..».

جبريل : (يتلـــو علـــى محمـــد) ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الأحقاف الآيتان ١٥، ١٦].

(يرتفع الوحى)

* * *

«دار أبـــى أيوب الأنصارى.. لا يكاد تســـابق الأنصـــار على إكرام وفادة نبى الله يترك لصاحب الـــدار فرصة لتقديم مـــا يريد.. يتســـابق الأنصار فيرســـل كل منهم قصعة من داره.. زيد بن ثابت أول المهادين، تصل من لدنه قصعة بها خبز مثرود بلبن وسمن، يقول للنبى عليه السلام «هذه قصعة أمى» فيجيبـــه بحنو: «بارك الله فيها».. ما تكاد تصل قصعته حتى تقبل قصعة ســـعد بن عبادة، بثريد عليه عُراق لحم.. ثم ها هى جفنة أسعد بن زرارة.. وســـط هذه الخيرات التى حملتها القلوب المحبة الفرحـــة بالمقـــدم النبوى.. يدعـــو عليه السلام أصحابه فيأكلون ويشـــربون.. ما راع أبا أيوب الأنصارى

إلا أن النبـى عليه السلام لم يقرب ما جهزه أهل بيته من طعـام جعلوا فيه بصلاً وثومًا.. يقول له النبى فى سماحة: إنما وجدت فيه ريح هذه الشجـرة، وإنمـا أنا رجل أناجى ربى!».

«دار أبـى أيوب، وقد ارتحـل المحتفون إلى ديارهم، وسـكنت الدار.. يتقـدم أبو أيوب فى حيـاء بـين يدى النبـى عليه السلام يسـأله أن يقيم بأعلـى الدار..».

النبى : (شـاكرًا) بـل أنزل فـى السّـفل، وأنـت وأم أيوب فى العُلو..

أبو أيوب : يـا نبى الله، بأبى أنت وأمى، إنى لأكره وأعظم أن أكون بفوق، وتكـون أنت بأسفل.. (ملحفًا) فاظهر أنت يا نبى الله فكن فى العلو، وننزل نحن فنكون فى السفل.

النبى : (فى تفهم وعرفان) إنه أرفق بنا وبمن يغشـانا أن نكون فى سفل البيت!

* * *

«المربد الذى اختاره الرسـول – ﷺ – وأوفى ثمنـه.. مكانًا لإقامة المسـجد بالمدينـة المنورة.. النبـى – ﷺ – يتقـدم العاملين فـى البناء من الأنصـار والمهاجرة.. يأبـى إلا أن يعمل معهم بيـده.. يطهـر الأرض ويرفع الأحجـار ويعطر الثـرى جبينه الطاهر.. تسـرى روح عجيبة فى الناس فيتسابقون فى الإقبال على البناء..».

أحد المسلمين : (مرتجزًا).

لئنْ قَعدْنا والنبيُّ يعمـل لذاك منا العمل المُضَلّـل

المسلمون : (مرتجزين وهم قائمون بالبناء).

لا عيش إلا عيـش الآخـــرة اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة

النبى : (يردد مبتسمًا).

لا عيش إلا عيـش الآخـــرة اللهم ارحم الأنصار والمهاجـرة

«يمضى العمـل فى البناء على قدم وسـاق.. المسـلمون يتناقلون الأحجـار، وجذوع النخيل، وسـعفه.. يظهـر رجل جَعْد هو عمار بن ياسـر وقد أثقلـوه بحمل كبير من اللـبِن (الطوب غير المحروق)..».

عمار : (مبتسـمًا للنبى) يـا رسـول الله قتلونـى.. يحملـون علىّ ما لا يحملون!

النبى : (متباسـطًا فى حنو وهو ينفض شعر رأس عمار بيده) ويح ابن سمية. ليسوا بالذين يقتلونك، إنما تقتلك الفئة الباغية!

على بن أبى طالب : (يرتجز)

لا يستوى من يَعْمُرُ المساجد يدأب فيها قائمًا وقاعـدًا

ومن يُرى عن الغبار حائدًا

عمار : (يكرر وراء على)..

لا يستوى من يَعْمُرُ المساجد يدأب فيها قائمًا وقاعـدًا

ومن يُرى عن الغبار حائدًا

«أحد المسلمين يغضب.. يظن أن عمارًا يعرض بـه فـى هـذا الرجز.. يرغى ويزبد!!».

النبى : (مهدئًـا) ما لهـم ولعمـار، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النـار؟! (مطيبًـا خاطر عمار) إن عمـارًا جلدة ما بين عينى وأنفى!

«المسـلمون يجـدّون فـى بناء المسـجد بهمة ونشـاط، تصاحبهم التكبيرات.. ويـد النبى – ﷺ – مـع أيديهم.. يقيمون عضادات المسـجد (جانبى العتبة) من الحجارة، وسواريه (أعمدته) بجذوع النخل، وسقفـه من جريدهـا وسعفهـا.. لا ينسـون وهم يقيمـون البناء لصلاة المسـلمين وتعبدهـم إلى الله، أن يقيموا فى الطرف المقابل للقبلـة ركنًا ظليلاً لأهل الصُفّة حيث يأوى إليـه فـى رحاب الله من لا مأوى له!».

* * *